الشيخ مدثر علي البوشي

القاضي العلامة، الأديب الشاعر، الخطيب الثائر، الشيخ الجليل، رمز من رموز الوطنية السودانية المعروفة، وبطل من أبطال عهد الحرية، عاش حياته بين السودان ومصر، وكان عضو في أول مجلس نواب سوداني وأول وزير للعدل في أول حكومة وطنية بعد استقلال السودان عام **1954**م.

هو مدثر بن علي بن محمد أبو النجا بن أحمد بن مصطفى العلواني الإدريسي الحسني، والمعروف بالبوشي والبوشي لقب لأخوال جده وينتمي إلى عائله الاشراف بمدينة بسيون، فيرتقي نسبه إلى سيدي أحمد بن عيسي (دفن ببسيون) ومن ثم إلى سيدي إبراهيم بن علوان وله مسجد ببسيون وبه ضريحه وهو عم الشيخ سليمان البسيوني صاحب الجامع والضريح الشهير بها وهو أقدم جوامع المدينة التي استقرت بها عائلته منذ أكثر من 700 عاماً وينتهي نسبهم إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وبلغ تعداد العائلة في بسيون 3000 نفس حسب ما علم من شيخهم الأستاذ بدر بن مصطفى الشريف وتعداد ذرية جد البوشي الذي رحل إلى السودان أكثر من 300 نفس وذلك عام 1932م ، أما والده الشيخ علي البوشي فهو من اعلام التصوف بمدينة ود مدني بالسودان فتعلم في الأزهر الشريف علي يد الشيخ عليش المالكي واستقر بالسودان ودرس الإمام المهدي صاحب الثورة في السودان على يديه رسالة أبي زيد القيرواني والرسالة القشيرية في التصوف.

وعند قيام ثوره المهدي أرسل تجريدة عسكرية للقضاء على الشيخ علي البوشي ولكن أعوان الشيخ واتباعه خلصوه من قبضه العسكر، أما والدته فهي نفسية بنت السيد الباقر بن إسماعيل الولي العباسي وإسماعيل الولي هو من مشاهير التصوف ومؤسس الطريقة الإسماعيلية بالسودان، فمدثر البوشي سليل بيت من بيوت العلم والتقوي.

ولد بأم درمان في مارس عام 1903م بدأ تعليمه في منزله حتى بلغ التاسعة ثم تلقى تعليمه الاوسط بالمدرسة الابتدائية بود مدني حيث نبغ وتفوق على أقرانه والتحق عام 1918م بكلية غردون حيث درس بقسم المهندسين لمدة عام ثم نقله والده إلى قسم

القضاء الشرعي بالكلية وتخرج قاضياً عام 1924م، فهو من أوائل خريجي كلية غردون التي تطورت فيما بعد لتصبح جامعة الخرطوم وشغل منصب قاضي تسجيلات مديرية النيل الأزرق.

كما عمل قاضياً في ود مدني ورشاد وبربر ورفاعة وأم روابه ودنقلا واستقال من القضاء عام 1954م عقب فوزه في انتخابات أول برلمان سوداني وكان من طليعة الوطنيين المحاربين للحكم الاستعماري وانضم إلى الحزب الوطني الاتحادي ، بالإضافة إلى عضويته لمؤتمر الخريجين وفي عام 1937م ألف الجمعية الأدبية بنادي الخريجين بود مدني وكان أول رئيساً لها.

كان مدثر البوشي منصرفاً إلى دراسة الأدب حتى اشتهر كاتباً وشاعراً كما اشتهر خطيباً ومن شعره الثائر القصيدة التي جاوزت الستين بيتاً وكانت بمناسبة ليلة المولد النبوي الشريف والقاها بسرداق الحكومة في أم درمان عند زيارة الحاكم العام في عام 1923م، وكان في ريعان شبابه يحاول الوصول إلى المنصبة، يريد أن يغزو المنبر فمنعه المشرفون الرسميون.

ولكنه وسط الهتاف والضجيج يجد الفتى ذو الجلباب الأبيض والعمامة المكورة طريقه إلى المنبر فيشدو بقصيدته المشهورة والتي وكان لها أثر شديد في النفوس وصدى بعيد حتي ترجمها أحد المستشرقين مع النثر إلى اللغة الإنجليزية وكتب عن هذه القصيدة أنها ستكون نواة للثورة، وانزعج الإنجليز من القصيدة وأشيع بعدها أنه تم اعتقاله فطلب منه الإنجليز أن يسير راجلاً في العاصمة حتى يتأكد الناس بأنه غير معتقل وفعلاً صدق حدس المستشرق فقد قامت بعد ذلك ثورة بالسودان ضد الإنجليز عام 1924م عرفت بثورة اللواء الأبيض ومن القصيدة الثائرة تلك الأبيات :

أرى البدعة الحمقاء أرخت سدولها		علي السنة الغراء أين الصوارم
أرى شرعة الإسلام رثت حبالها		وراحت بأمواج الخطوب تلاطم
أرى زهرة الدنيا وشرخ شبابها		تبدل بؤسها بئس تلك المغارم

إلى أن قال :

ومالي ولـلأيام أخشى نزالها		وأحمد عون للضعيف وعاصم
فلا تلهيني بالزمان وأهله		فإن فؤادي منه للغيظ كاظم

وفي خلال أزمة سودنة القضاء الشرعي حيث كان يتولى منصب قاضي القضاة بالسودان قاضي مصري وممن تولى المنصب الشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ محمد أمين قراعة وكان آخرهم الشيخ حسن مأمون في سنة 1947م فهو أخر قاضي قضاه مصري، وإبان تلك الأزمة انقسم الرأي العام السوداني وامتد الانقسام إلى صفوف القضاة الشرعيين فكان البوشي يطالب ببقاء منصب قاضي القضاة المصري ووصف البوشي المنصب بأنه واسطة عقد بين شطري الوادي واعتبر سودنته محاربة للإسلام فكان مؤمناً بوحدة وادي النيل واتفق معه بعض من القضاة الشرعيين وإن اختلفت أسباب كل قاضي.

فأورد احدهم حجته قائلاً أن بقاء المنصب هو ربط القضاء الشرعي بمصر وذلك من منطلق أن مصر هي مركز الثقافة الإسلامية ومنبع التشريع الإسلامي ومحط أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كما ردد آخرين أنه يحفظ للمحاكم الشرعية السودانية روح التبلور في التشريع الإسلامي ومسايرة تقدم أنظمته.

وعندما عقدت إنجلترا ومصر اتفاقية حول الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان فتشكلت أول حكومة وطنية برئاسة الزعيم السوداني إسماعيل الازهري في 9 يناير

سنة 1954م وتولى الشيخ مدثر البوشي منصب وزير العدل بتلك الوزارة في 26 ديسمبر 1954 م ليكون أول وزير عدل بعد إعلان الاستقلال في 1 يناير سنة 1956 م ، حيث انتقلت السودان من البريطانيين إلى السودانيين حتى أسقطت المؤامرات وزارة إسماعيل الأزهري في يوليو سنة 1956م.

وعرفت تلك الفترة بالعهد الوطني الأول وحتى قيام انقلاب 17 نوفمبر 1958م بقيادة اللواء إبراهيم باشا عبود، واعتزل البوشي الحياة السياسية عقب الانقلاب.

وعقب ثورة أكتوبر 1964م انضم إلى جبهة الميثاق الإسلامي وترشح عن دوائر الخريجين ممثلا لها وعاش حياته مستمسكاً بتعاليم دينه خداماً لوطنه ودينه وله الفضل في إنشاء مصلحة الشئون الدينية.

وكان من شعراء السودان البارزين وملك الخطابة الشهير الذي هزّ المنابر والمحافل بخطبه القوية وأشعاره التي اشعلت نار الكفاح الوطني حتي حصل السودان علي استقلاله ومن جميل شعره الثائر قصيدة كفكف دموعك ومنها:

كفكف دموعك لا تبكي على الزمن	فأي مستضعف في الأرض لم يهن
إن كنت ذا شجن صحت عزيمته	فأنت عن مثل فعل الغانيات غني
دع البكاء لربات الحُجول وخذ	بيض الصفائح واكشف ظلمة الدجن

ويقول فيها :

يا خاطب المجد إن المجد ممتنع	إن كنت تطلبه عفواً بلا ثمن
ويا مريد العُلا إن كنت سائله	مهد وسائله في السر والعلن

ويقول أيضا:

ما بال آبائكم دان الزمان لهم		وأنتم خلف دنتم إلى الزمن ؟
ما بال آبائكم كانوا على سننٍ		وأنتم أصبحتم اليوم على سنن؟

وهو القائل :

فليت سكان بطن الأرض لو نُشروا		وليت من وفقها في رحمة الكفن
عشقتم رتباً أمهارها كذبٌ		قد استقام بلبس الصوف والردن

ومن مؤلفاته :

البعث الوطني، وروافد الزحف، ومناظرة له بين الإسلام والمسيحية، ومن قصائده بالإضافة إلى قصيدة كفكف دموعك، الحسناء، وارسل دموعك، وله همزيه تختصر السيرة النبوية وتتكون من 123 بيتاً ، وغيرها من القصائد العامرة.

وزار المغرب واحتفى به ملك المغرب وكرمه أحسن تكريم وعاش الشيخ الجليل حياته بين مصر والسودان فمن زياراته إلى مسقط رأس عائلته بسيون لصله الرحم تلك الزيارة التي استقبله فيها خليفة جده الشيخ البسيوني الأستاذ السيد بدر بن مصطفى بن بدر بن مصطفى الشريف سنة 1931م.

وكان يعمل بالقضاء الشرعي وقتها كما يروي الاستاذ عبد الله حسين في كتابه السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ودار بينهم حواراً حول تاريخ العائلة وصله الرحم بينهم وكان دائم الزيارة إلى بسيون وزارها عندما كان وزيراً

للعدل أيضاً فلم ينقطع عنها ابدا حتي وفاته في ود مدني سنة 1982م، وفي أواخر حياته تفرغ للعبادة في مسجد البوشي بود مدني وهو المسجد الذي أسسه والده وكان يجلس فيه ليتعبد ويلقي دروسه على طلبة العلم.

ومن أحفاده الشاعر البروفسيور عصام عبدالرحمن البوشي ويشغل حالياً رئيس جامعة ود مدني بالسودان وهو القائل :

قف واسأل الفضل عن أندى أياديه	وعن نوادر ما يُلفى بناديه
واسأله عـن عالم لطالما اغتبطت	تلك المحافلُ إذما يشدُ شاديه
زين الهداة أبو الأفضال عالمنا	شهدُ التُقاة أقُول بعض ما فيه
شـيـخ المـغارب (مــدثــر) أخو	علمٍ وفضلٍ وزُهد لستُ أحصيه

الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الوزير مدثر البوشي في إحدى زياراته لمصر في خمسينات القرن المنصرم.

***